# عُمْرُ الكَوْنِ مَأْثَرَةٌ عِلْمِيَّةٌ

# Age of the universe
# A scientific exploit

**د. محمد دودح**

**الباحث العلمي سابقًا في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في**

**القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المُكرمة**

**mdoudah@hotmail.com**

لفظ (السماء) عند الإطلاق يعني بالنسبة للناظر من سطح الأرض كل الوجود المُمكن الإدراك في العلاء حتى أنهم قالوا: (هو كل ما علاك فأظلك)، وقد تقصر قرائن السياق دلالته على كيان مُحدد مثل أفاق الأجرام السماوية المتلألئة للناظرين كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) الحجر: ١٦، وفي قوله تعالى: (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة: ١٦٤؛ قصر السياق دلالة لفظ (السماء) على محل بروج الأجرام السماوية، والتعبير: (بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ) قاطع الدلالة على وجود منطقة بين محل آفاق بروج الأجرام السماوية وكوكب الأرض؛ تتميز عما يُسمى فضاء فوقها بوجود السحاب وتيارات الهواء ويستقيم حملها إذن على الجو، أليست هي نفس الدلالة في بيان تميز السماء المحلية عن السماء الكونية بالتيارات الهوائية حيث يُحلق الطير: (أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىَ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) النحل: ٧٩، وفي قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) الحجر: ٢٢؛ وردت كلمة (السماء) في سياق يقصر دلالتها على الجو المُحيط بالكوكب حيث الهواء والسحاب مصدر المطر، فاسأل نفسك: أيقول هذا بشر في زمن سادت فيه الأساطير؛ إحداها أسطورة يونانية تحكي عن بلوغ إيكاروس القمر بأجنحة من الريش، فلم يُعرف إلا حديثًا بتميز الجو عن الفضاء وبدور الرياح في حمل أنوية تلقيح من العوالق يتجمع حولها بخار الماء ثم تقوم البرودة في العلاء بتكثيفه فيتكون السحاب المُثقل بحبات المطر، فإن لم تكن هي أنوار الوحي التي أشرقت في بادية العرب قبل عصر العلم بأكثر من عشرة قرون؛ فكيف إذن خالف القرآن الأساطير والأوهام ووافق الحقائق العلمية، أم هي براهين الوحي تسطع اليوم بأنوار اليقين!.

وفي سبعة مواضع يُقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم في عملية واحدة ذات أطوار كما لو كان بناءً واحدًا تتابعت أطوار تنفيذ خطة تصميمه المُقدرة: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، ق: ٣٨، الحديد: ٤، والأيام ذوات العدد في مقام بناء الكون هي أقرب مثال لبيان سبق التقدير وحسن التدبير والقصد منذ البدء لا الصدفة العمياء؛ خاصة أن الزمن ناتج عن حركة أجرام فلكية وعند التكوين لم تكن قد وُجدت أجرام فلكية بعد، والأبدية إذن لله تعالى وحده والكون كيان عارض تشكل في فترات مُتعاقبة مُقدرة تُعارض أوهام الدهريين، قال الشوكاني (ج٢ص٤٨٢): "المُراد بالأيام الأوقات؛ أي في ستة أوقات..، ولا يستقيم أن يكون المُراد بالأيام هنا الأيام المعروفة.. ؛ لأنه لم يَكُن حينئذٍ لا أرض ولا سماء"، وقال الرازي (ج٢٨ص١٥٨): "في ستة أيام إشارة إلى ستة أطوار..، المُراد من الأيام لا يُمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة؛ لأن اليوم عبارة عن زمان.. وقبل السماوات لم يكُن شمس ولا قمر، لكن اليوم يُطلق ويُراد به الوقت..، وأما ما قاله اليهود.. فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله.. فلو كان خلق السماوات ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان مُتحَقِّقًا قبل الأجسام؛ والزمان لا ينفك عن الأجسام"، وقال السمعاني (ج٥ص٤٢): "قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: ٩و١٠؛ أي في تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين (لتشكل الأرض الأولية)، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تمام خمسة عشر يوما..، هذا كلام العرب ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"، والنَّظْم إذن مقصور على بيان فترات خلق الأرض وحدها فحسب بعد خلق السماوات الكونية العُلى، وعلى هذا نصيب الأرض أربعة أطوار من الأطوار الستة؛ حيث استقلت في يومين قبل نشأة السطح الصخري من فوقها وتشكلها الكروي طبقات، ومع اكتمالها ظهرت أوائل الأحياء ولازمها بالضرورة الماء والهواء، فالسياق إذن ينطق بنشأة الغلافين الصخري والجوي في نفس الفترة؛ تهيئةً لمَقْدِم الإنسان ليُعَاين بديع الصُنع والتَّصْمِيم المُعْجِز وينْصِت للكون المَهِيب يَشْدُو بمشيئة وَاحِدَة عَلِيَّة قَدَّرَت وأَنْجَزَت، فَيَخْبُت لِجَابِلُه ويُمجده وحده ولا يَعْبُد سواه.

| العدد | اسم النطاق أو الطبقة | الارتفاع (فوق مستوى سطح البحر) | الخصائص |
|---|---|---|---|
| ١ | الطبقة المناخية Troposphere (نطاق التغيرات الجوية) | من ٦ كم عند القطبين إلى ١٨ كم عند خط الاستواء. | يحوي ٨٥ % من كتلة الجو، ويقل الضغط بالارتفاع وكذلك درجة الحرارة لتبلغ ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر عند قمته، ويختص بالرياح والسحب. |
| ٢و٣ | الطبقة فوق المناخية Stratosphere تتخللها طبقة الأوزون Ozone Layer | ٥٠ كم، وتتخللها طبقة الأوزون على ارتفاع بين ٢٠ و٣٠ كم. | تقوم طبقة الأوزون بحجب نسبة كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وينخفض الضغط الجوي حتى يصل إلى ٠.٠١ ضغط جوي عند قمة النطق. |
| ٤ | النطق المتوسط Mesosphere | ٥٠ – ٨٥ كم | يشارك في الحماية من النيازك، ودرجة الحرارة أعلاه حوالي ٩٠ درجة مئوية تحت الصفر. |
| ٥و٦ | النطق الحراري Thermosphere يتخلله نطق التأين Ionosphere | يبلغ ارتفاع أكثر من ٥٠٠ كم، ونطق التأين حوالي ٤٠٠ كم. | ترتفع أعلاه درجة الحرارة، وتحدث فيه ظاهرة الشفق القطبي، ودوره مهم في الاتصالات اللاسلكية لأنه يعكس موجات الراديو، ويعقبه النطاق الخارجي Exosphere الذي يصل لأكثر من ١٠٠٠ كم؛ لكن الهواء يكاد يكون منعدما لدرجة أن تنطلق ذرة غازية عند أسفله نحو ١٠ كم قبل أن تصطدم بذرة غازية أخرى؛ ويتزايد التخلخل إلى أن يتصل بالفضاء الخارجي (*). |
| ٧ | نطاق الغلاف المغناطيسي Magnetosphere | يمتد لحوالي ٥٠ ألف كم، وارتفاع الحزام الداخلي حوالي ٢٠٠٠ كم. | يقوم بدور الحماية من الرياح الشمسية الخطيرة. |

(*) موسوعة ويكيبيديا العالمية والشبكة الدولية.

**الطبقات الوظيفية للغلاف الجوي: أربع طبقات رئيسة يتخللها طبقتين فرعيتين؛ بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.**

**والمُكتشف حديثًا أن الغلاف الجوي طبقات مُتعاقبة تعلونا؛ فهي بالنسبة إلينا سماوات محلية باعتبار أن كل ما علاك فأظلك سماء.**

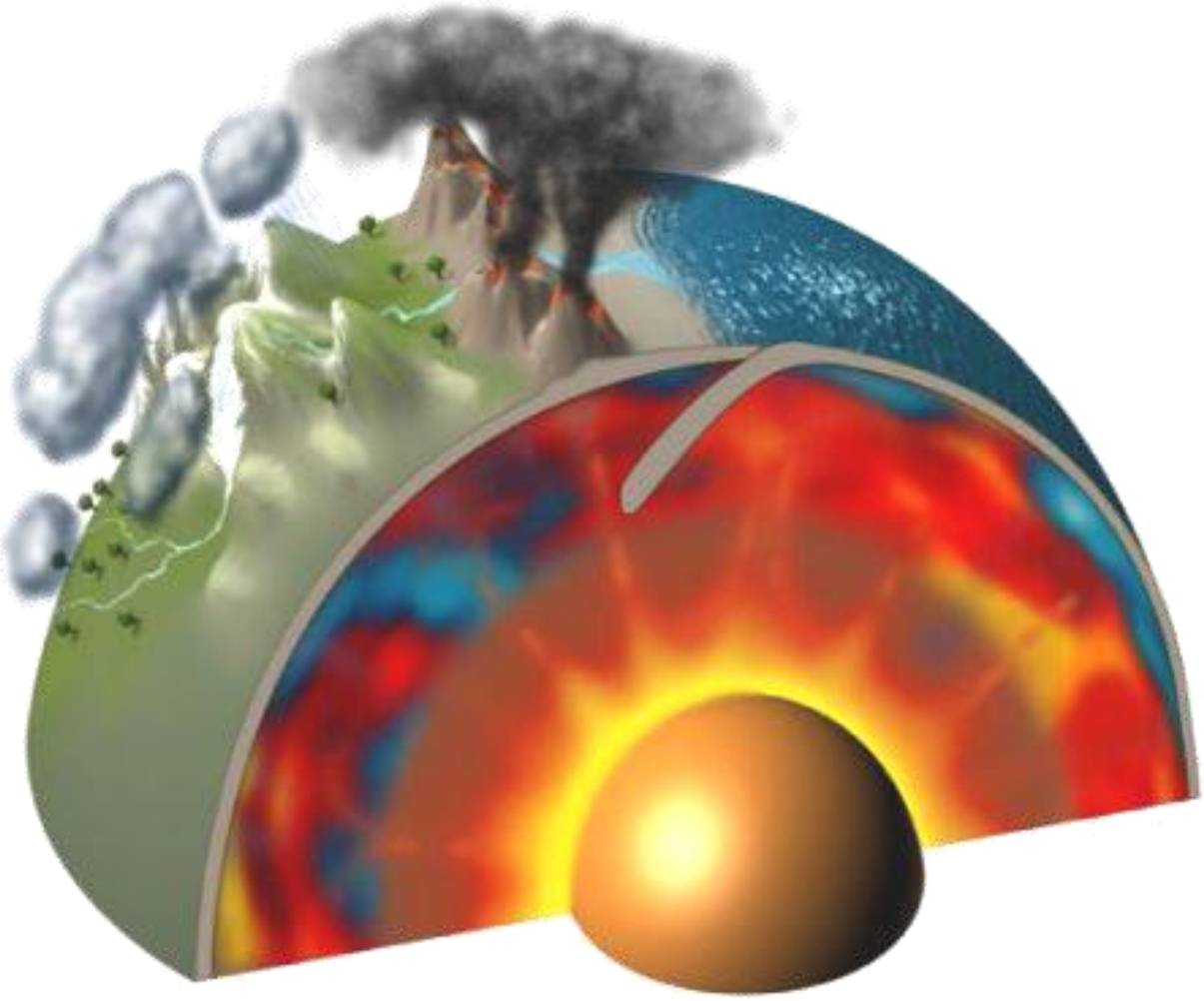

**تكون جو الأرض من دخان كثيف انبعث منها وأحاط بها حين كانت مُلتهبة خلال تكون غلافها الصخري.**

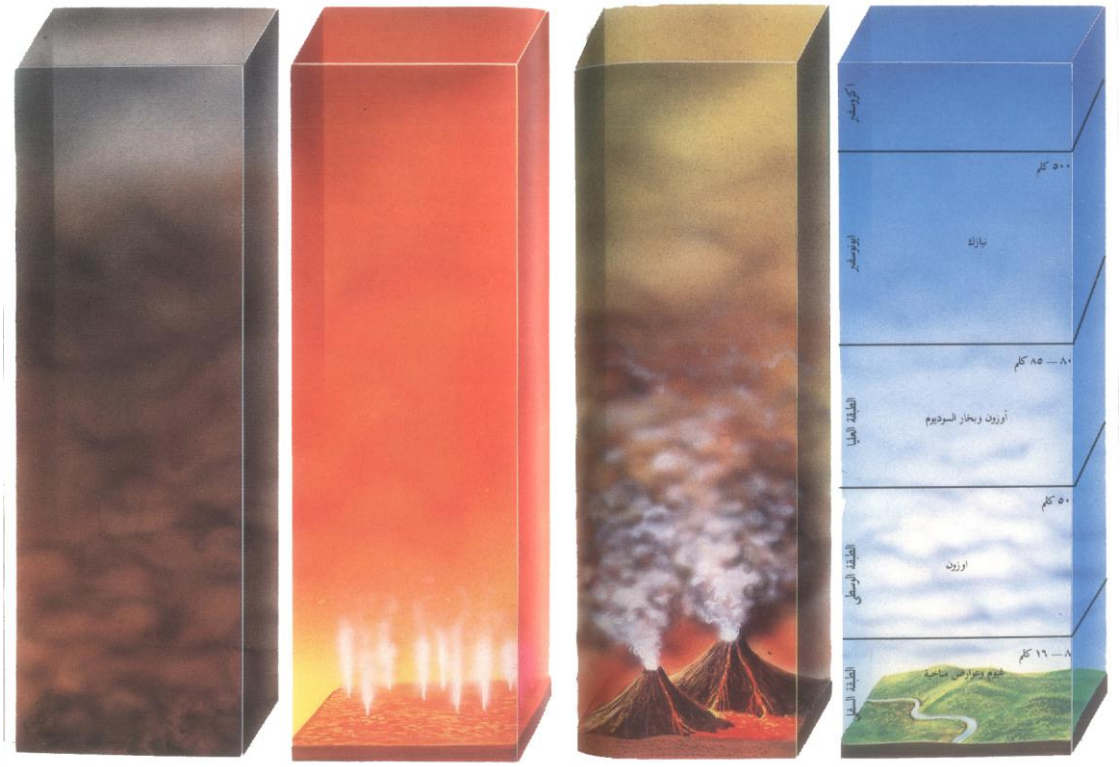


وورود لفظ (السماء) بالجمع يعني تميز الموصوف إلى طبقات؛ سواء دل السياق على أن المُراد به آفاق الأجرام السماوية السابقة للأرض في التكوين وترتيب النظم أو طبقات الجو اللاحقة بها، والثابت اليوم أن طبقات الجو قد نشأت من دخان الأرض المُلتهبة في طور نشأة غلافها الصخري؛ حيث قذفت براكين عملاقة كميات هائلة من بخار الماء الشديد الحرارة ومع التبرد هطل المطر لأحقاب بغزارة وتكونت كل مياه الأرض التي خرجت منها، وأطلقت البراكين دخان كثيف غمر الجو المُحيط بها ومع التبرد تحول إلى طبقات، وهو صريح النبأ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ٤١فصلت:١١و١٢، وهو تعبير تصويري عن إطاعة الجمادات للتقدير كأنهن عُقلاء مُكلفين؛ تعريضًا بالإنسان الغافل عن قدرة خالقه.

وفي التمثيل دلالة على التهاب الأرض وتابعها حينئذٍ، وأن الدخان كان يتبدد ولا يرافق الأرض في حركتها في مدارها حول الشمس؛ حتى استقر الجو وتحول إلى طبقات، وأصبح سقفًا محفوظًا من التبدد ليحفظ الأحياء من بعد ويحميهم من أخطار الفضاء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢، وفي التعبير: (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)؛ الإتيان لازمه الحركة، والتعبير بالتثنية (ائْتِيَا) و(أَتَيْنَا) يعني ملازمة الحركة أي معًا، وتوجيه الأمر لكل منهما يفيد عدم تلازم الحركة إلى أن صدر هذا الأمر بالتلازم معًا؛ وهذا يتفق تمامًا مع المعرفة حديثًا بتبدد الجو الأولي خلفها، وليس البيان بتلطف إلا لإيصال حقائق مُدَّخَرَة لقادم الأيام؛ بلا صدام مع معارف الأولين يلفت عن غرض الإيمان بوحدانية القدير والاستعداد ليوم الرحيل.

والنبأ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾؛ صريح باكتمال خلق الأرض ونشأة أوائل الأحياء، ولا يصح إذن بعد نشأة الأحياء على سطح الأرض حمل يومين السماء على مرحلة تالية وقد انتهى خلق الأرض، وهي قرينة على أن يومين السماء داخلين في الأربعة في نفس فترة تكون الغلاف الصخري، والمُراد إذن هو السماء المحلية التابعة للأرض واللاحقة بها في النَّظْم والخلق والتي تكونت من بعد طبقات، قال ابن عاشور (ج١ص٢٢٣): "والسماء إن أريد بها الجو المُحيط بالكرة الأرضية فهو تابع لها (في النَّظْم) مُتأخر عن خلقها، وإن أريد بها.. (آفاق) الأجرام العلوية.. (فهي) أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقا"، وعلى هذا إذا أتي لفظ (السماء) بالجمع أو الإفراد قبل الأرض في سياق يتعلق ببيان ترتيب مراحل خلق الكون فهو دال على سماء الكون، وإذا أتى في النَّظْم لاحقًا بالأرض في سياق التكوين فهو دال على السماء المحلية التي نشأت من الأرض والتابعة لها في التكوين، وبهذا يزول الإشكال نهائيًا حول سبق الأرض أم السماء في التكوين؛ قبل أن تستقر المعارف العلمية حديثًا وتنطق بصدق النبأ.

والتعبير: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)؛ يدل على اكتمال مراحل تكوين الأرض ونشأة سلسلة الغذاء، وبالضرورة يُفيد اكتمال الغلاف الصخري ليحمي الأحياء من خطر الباطن المُلتهب واكتمال تكون طبقات الجو لتحفظهم وتحميهم من أخطار الفضاء، وإذن التعقيب بنشأة الجو: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ يعود على نشأة الأرض الأولية: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ)، والتركيب يُفيد نشأته منها عقب نشأتها، والتعبير: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) يُعَيِّن مدة استكمال خلقها قياسًا على مدة خلق الكون، وفيه إشارة إذن إلى أن السماوات العُلى قد نشأت سابقًا في يومين، قال أبو السعود (ج٤ص١٨٧): "السماوات (العُلى قبل الأرض) في يومين، والأرض في يومين؛ وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات.. في يومين، والمُراد بالأيام الأوقات..، فإن اليوم في المُتعارف زمان..؛ ولا يُتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء".

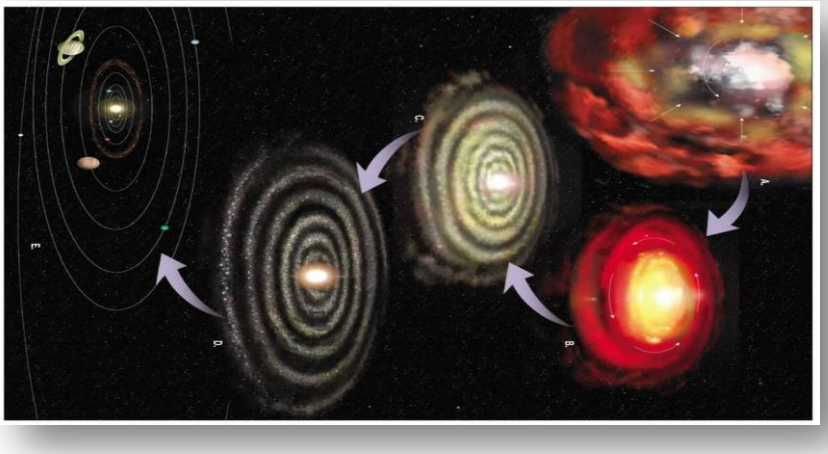

**ولا مجال إذن لِصُدْفَة والنظام سائد والتَّدَرُّج يَتَّجِه منذ البَدء بقصد نحو نشأة الوعي في الأرض؛ وربما في الكون أجمع، وبنص القرآن ليست الأرض بنفس الهيأة على الدوام وإنما تتغير وفق خطة تكوين في مراحل مُتتابعة مُقدرة؛ وتلك وحدها مأثرة علمية!.**

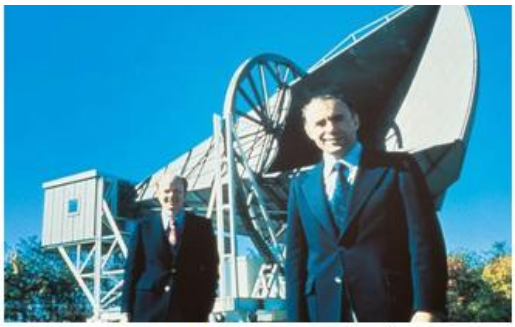

أرنو بنزياس Arno Penzias وروبرت
Robert Woodrow Wilson ويلسون

روجر إيميل كايريل
Roger Emile Cayrel

تشارليس بينيت Charles
L.Bennett

إدوين هبل Edwin Hubble

**وبرصد انحراف خطوط طيف المجرات العُظمى نحو الجانب الأحمر Red Shift أعلن إدوين هابل عام ١٩٢٩ أنها تبدو في تباعُد تتزايد سرعته مع البعد بمعدل ثابت؛ سُمِّيَ بثابت هابل Hubble Constant، وتباعدها يعنى أنها كانت مُكدسة في حيز ضئيل يُصدر أشعة تعكس حرارة هائلة ليس لها اليوم نظير؛ كشفها بنزياس وولسون عام ١٩٦٤ وسميت بالأشعة الخلفية Background Radiation، وتأكد نهائيًا أن للكون ابتداء وتراجعت للأبد كل الافتراضات السابقة حول سرمدية الكون انعكاسًا لأوهام الدهريين، ومع بلوغ سرعة التباعُد قيمة سرعة الضوء القادم منها لا تُشاهد ويَتَعَيَّن حد الكون المُمْكِن الرَّصد، وبالتالي يُمكن تقدير عمر الكون وفق قانون هابل: عمر الكون = (سرعة الضوء × مليون)\ ثابت هابل، وباعتبار أن قيمة ثابت هابل تتراوح بين ٣٠ و٢٠ كم\ ثانية؛ يكون عمر الكون في المتوسط: ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة، ونتيجة رصد فروق يسيرة في الأشعة الخلفية تعكس تمايز في درجة الحرارة عند نشأة الكون؛ أعلن الفلكي الأمريكي تشارليس بينيت في ٢٣ أبريل ١٩٩٣ أن عمر الكون يبلغ: ١٣,٧٥ بليون سنة، ورصد الفلكي الفرنسي روجر كايريل وفريقه من عدة دول مادة مُشعة معروف نصف عمرها في أقدم النجوم، وباعتبار أن عُمر الكون لا يقل عن عُمر أقدم ما فيه؛ أعلنوا في ٨ فبرار ٢٠٠١ أن عمر الكون لا يقل عن: ١٢,٥ بليون سنة.**

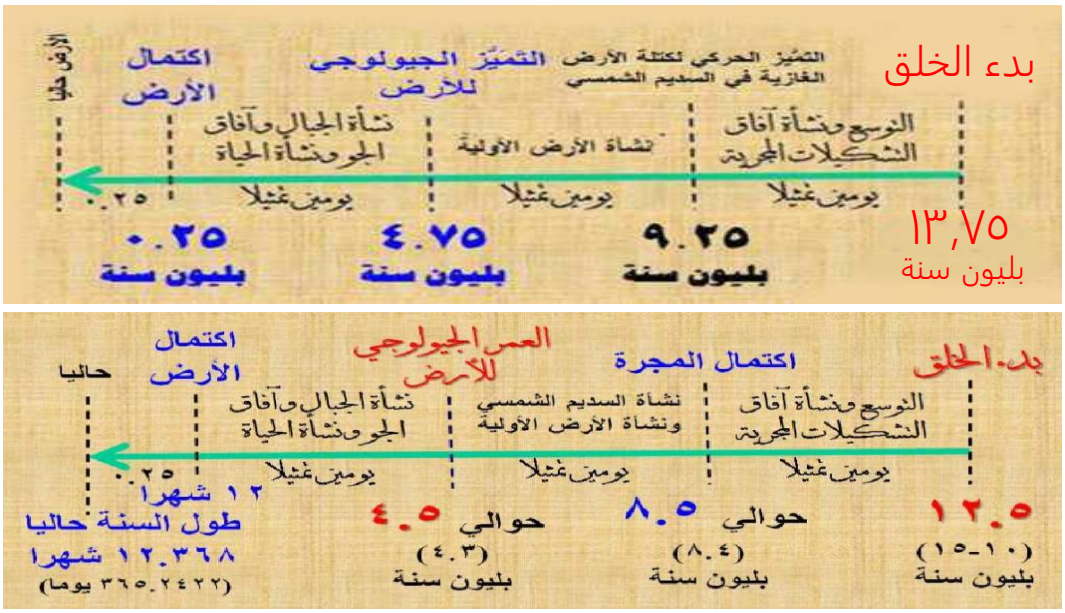


وفي تاريخ الأرض علامة فارقة على اكتمال الخلق وظهور أول الأحياء؛ حيث وقع أكبر هلاك جماعي للكائنات الحية منذ ٢٥٠ مليون سنة بين العصرين الجيولوجيين البرمي والترياسي **Permian–Triassic Extinction**[1] فأباد مُعظم الأشكال الأولية وعُرف باسم الموت العظيم، وحينئذٍ كان قد اكتمل الغلاف الصخري والجوي؛ وبدأت القارات الأولية المُجمعة في قطعة واحدة سُميت بأم القارات **Pangea** في التشكل إلى قارات مُستقلة، فإذا كان خلق الكون في ستة أيام تمثيلاً بأيام الأسبوع؛ فإن خلق الأرض في يومين بدون السطح الصخري والجو ومجموع فترات خلقها أربعة أيام، وباعتبار أن العمر الجيولوجي للأرض قيمته على أقصى تقدير: ٤,٧٥ (٤,٥-٥) بليون سنة، وعلى أقل تقدير: ٤,٣ (٤,٦-٤) بليون سنة؛ يكون بدء خلق الكون في القرآن بنفس القيمة المعروفة الآن بدقة مُذهلة؛ وهي على أقصى تقدير: ١٣,٧٥ بليون سنة، وعلى أقل تقدير: ١٢,٥ بليون سنة.

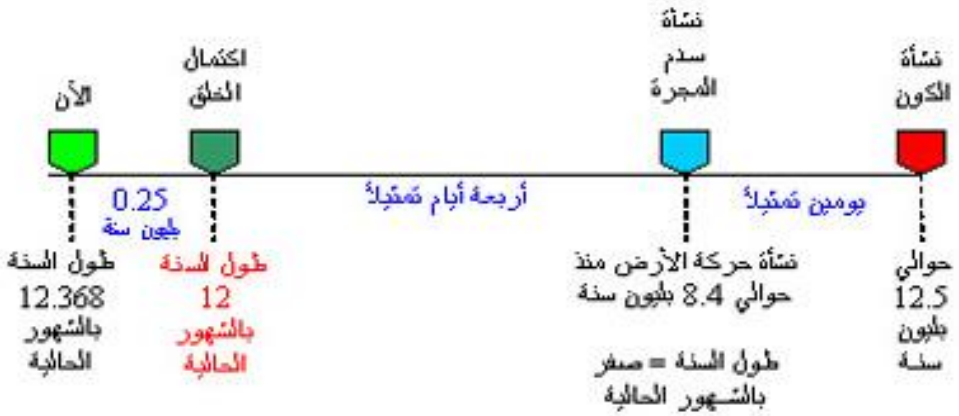


وفي النبأ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٩التوبة:٣٦؛ ظاهر النص أن السنة الشمسية كانت ١٢ شهرًا من الشهور الحالية عند اكتمال خلق الأرض وليس الآن، لأن لفظ (خَلَقَ) فعل ماضي لا يستقيم معه سوى حمل التعبير (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) على انتهاء خلق الأرض؛ أي منذ ٢٥٠ مليون سنة، وهي نفس قيمة دورة زمنية كونية واحدة تقطعها الشمس في مدارها حول مركز المجرة طولها ٢٥٠ مليون سنة وتُسمى السنة الكونية **Cosmic Year**، وتعجب أن يُشير حديث نبوي رواه الشيخان على مرور دورة زمنية كونية واحدة منذ اكتملت الأرض: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر شهرا)، والزمان وليد حركة أجرام فلكية، وأكبر وحدة زمنية في عالمنا هي السنة الكونية، أما السنة الشمسية فمبنية على حركة الأرض حول الشمس وطولها حاليا: ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية؛ أي: ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا، وبالشهور الحالية: ١٢,٣٦٨ شهرًا، وباعتبار أن السنة الشمسية كانت تُعادل ١٢ شهرًا من شهورنا الحالية عند اكتمال نشأة الأرض بغلافها الصخري والجوي وما عليها من أوائل الأحياء؛ وأن الزيادة المتراكمة في ٢٥٠ مليون سنة تُعادل ٠,٣٦٨ من شهورنا الحالية، فبالتالي يُمكن معرفة كامل المُدة منذ أول نشأة الارض حتى الآن والتي بلغت فيها مُدة التراكم ١٢,٣٦٨ شهرًا، ونظير الستة أيام تمثيلاً يَتَأَكَّد أن عمر الكون لا يقل عن القيمة المعروفة الآن: ١٢,٥ بليون سنة.

[1] انقراض العصر البرمي الترياسي معروف باسم الموت العظيم، وهو انقراض جماعي للأشكال الأولية للأحياء وقع منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة بين العصرين الجيولوجيين البرمي والترياسي، وكان هذا الحدث أكبر انقراض جماعي شهدته الأرض؛ حيث قضى على نحو ٩٦ ٪ من كل أنواع الأحياء البحرية و٧٠ ٪ من الفقاريات الأرضية (ويكيبيديا).

**وفي النبأ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤؛ قال الألوسي (ج٢٩ص٥٧): "العروج في الدنيا.. رُوِي (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا"، و(الْمَعَارِجِ) جمع لاسم المكان (مَعْرَج) كأدق وصف لآفاق الكون حيث تسري الأجرام الفلكية في مداراتها بانحناء كمِشية الأعرج، فالكون إذن نسيج مُنحنى وصفه الفيزيائيون بالكون المنحني Curved Universe، وفي المعجم الوسيط (٥٩١١٢): "تعارج: حاكى مشية الأعرج، وعرَّجه ميَّله، وتعرَّج مال، والتعاريج المُنحنيات، والعرجون العذق المُعوج (حامل التمر)"، أما القيمة فقد ذكروا أنها لبيان أقصى مدى؛ قال البيضاوي (ج٥ص٣٨٧): "استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها"، وقال البغوي (ج٣ص٤٩٨): "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"، وقال (ج٢٩ص٥٨): "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها..، والمُراد أنها في غاية البعد والارتفاع"، وقال طنطاوي جوهري (ج٢٤ص٢٦٠): "أخذ يستأنف مُبينًا ارتفاع تلك الدرجات.. فليس المُراد المُدَّة بل بُعد المَدَى..، وقدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح..؛ العالم المُبَرَّأ عن المَادَّة، (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"، والخطاب للعرب زمن النُّبُوَّة وهم لم يكونوا يعرفون السنة الكونية فناسبه الإجمال دون التفصيل، وإيجاز الحذف أفصح من الذِّكْر طالما دل عليه السياق، والسياق هنا يتعلق ببيان أقصى مدى مُمكن الرَّصد في الكون الفيزيائي ويتطلب أقصى سرعة وأقصى وحدة زمن، وقد تقرر أن التعبير (في يوم كان مقداره ألف سنة) السجدة:٥؛ يتضمن قيمة أقصى سرعة في الكون الفيزيائي[٢]، وإذا حملنا لفظ (سنة) على الاشتراك في الدلالة إيجازًا؛ لزم أن تكون القيمة (خمسين سنة) بالسنة الكونية كأكبر وحدة زمن تُناسب قياس أكبر مسافة في الكون بَيَانًا للسعة الهائلة التي تفُوق أفق التصور البشري، وكلما نظرت أبعد فإنك تُعاين الماضي الأبعد؛ لأن سرعة الضوء محدُودة وإن كانت هائلة، ويتطلب بلوغ أقصى بُعد مُدَّة تُكافئ عمر الكون، وإذا كان أقصى بُعد يُعادل المسافة التي يقطعها الضوء في ٥٠ سنة كونية فإن عمر الكون لا يقل إذن عن ٥٠ سنة كونية؛ أي: ١٢,٥ بليون سنة.**

جيمس أوشر James Ussher
(١٥٨١-١٦٥٦)

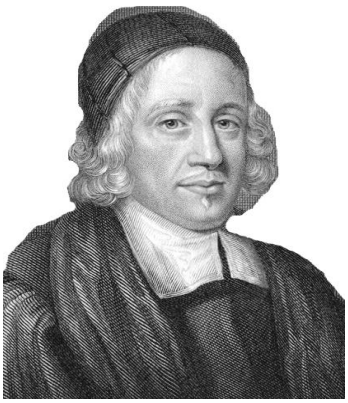

جون لايتفوت John Lightfoot
(١٦٠٢-١٦٧٥)

**ولك أن تتبين ما بلغته التصورات إلى عهد قريب لتُدرك كيف سبق القرآن وأصر على نفس القيمة بتلطف لا يلفت عن غرض؛ في القرن السابع عشر عام ١٦٥٤ أعلن جيمس أوشر James Ussher (١٥٨١-١٦٥٦) كبير أساقفة الكنيسة الأيرلندية استنادًا للعهد القديم أن بدء خلق العالم كان ليلة الأحد ٢٣ أكتوبر عام ٤٠٠٤ ق.م، واختار القس جون لايتفوت John Lightfoot (١٦٠٢-١٦٧٥) عام ٣٩٢٩ ق.م، فتكون حضارات العالم القديم في الأوج والكون لم يُخلق بعد[٣]، ومرجع الخطأ حمل تعبير (ستة أيام) على الظاهر لا التمثيل؛ وهو نفس الخطأ الفادح للآباء من قبل في حمل تعبير (ابن الله) على الظاهر لا التمثيل فحادوا عن مبدأ التوحيد، وهكذا أثبتت الأيام كم بَعُدَ الآباء الأولين والأتباع المُقلدين عن الحقيقة؛ ولا عزاء للمخدوعين، وكيف تَألَّق القرآن قبل عصر العلم بقرون، ويكفي أن تعبيره يتسع لكل كوكب الأرض والكون المُمكن النظر أجمع؛ وهي نظرة شمولية تفُوق أفق المعرفة في بيئة العرب زمن النبوة، والمُكابر يُعاند ولا يردعه عن المخاطرة بمحاولة الطعن في القرآن الكريم جُملة مآثر في العلم وروائع البيان؛ ولكن الفطين تَكْفِهِ مَأْثُرَة!.**

---

[٢] في النبأ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥؛ مقدار واحد ثابت أكده النبأ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧، والسياق يتعلق باستعجال أمر لا يصلح استعجاله لكونه يسري بأقصى سرعة مُقدرة في الكون الفيزيائي؛ بحيث يقطع في يوم واحد مسافة ألف سنة بسرعة ما تقوم على حركته الفلكية السنة عند العرب وهو القمر؛ بشرط أن تكون الحركة وفق ما كانوا يعدونها باعتبار سكون حركة الأرض وتابعها حول الشمس والنجوم ثوابت، فتصبح سرعة القمر مُجردة والتوقيت منسوبًا للنجوم والمُعادلة في نظام معزول عن تأثير الشمس، والنتيجة تتفق تمامًا مع نتيجة الأرصاد المُتَّفق عليها منذ عام ١٩٨٣: ٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كما ثانية.

[٣] English Wikipedia; the international Encyclopedia: Annals of the Old Testament deduced from the first origins of the world

وهكذا يتحقق اليوم ساطعًا ما وَعَدَنَا القدير في جُملة مواضع جازمًا بأن في القرآن أنباء ستتضح معانيها في مستقبل الأيام كآيات تُثبت كل حين أنه الحق للعَالَمين؛ القادمين في بطن الأيام، نحو قوله تعالى :﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧-٨٨، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ النمل: ٩٣، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣.